محدّدات المبادرة الاوروبية تجاه القضية الفلسطينية

(١٩٦٧ ـ ١٩٨٩)

محمد خالد الأزهري

جرّاء التطوّرات التي لحقت بمسار القضية الفلسطينية، بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بعامة، ومنذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بخاصة، شرعت دول الجماعة الاوروبية في خلع رداء السلبية التي ميّزت موقفها تجاه القضية، منذ العام ١٩٤٨. وهي سلبية عادت، في حينها، الى عوامل عديدة، منها تضعضع مركز اوروبا، عموماً، في المنطقة العربية (وغيرها)، مقابل تنامي نفوذ القوتين العظميين، الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، والتفات القوى الاوروبية الى عمليات اعادة الترميم والبناء الاقتصادي في الداخل، لازالة آثار الحرب العالمية الثانية، وغياب البعد الفلسطيني في سياق الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بحكم مضاعفات النكبة الفلسطينية.

لقد حدث هذا بعد ان كانت القوى الاوروبية التقليدية الكبرى (بريطانيا، وفرنسا، والمانيا الاتحادية، وايطاليا) وطّدت دعائم المشروع الصهيوني في فلسطين، ووضعت أسس المسألة الفلسطينية برمّتها، طوال النصف الأول من القرن العشرين. وعلى أي حال، فقد ظهر مفهوم المبادرة الاوروبية متلصّصاً على استحياء، منذ نهاية الستينات حتى منتصف السبعينات، ثمّ صريحاً، واضحاً، منذ ذلك الحين حتى الوقت الحاضر.

والمبادرة الاوروبية مفهوم يعبّر، في هذه الدراسة، عن الرؤى والافكار والمبادىء، التي طرحتها دول الجماعة الاوروبية، بخصوص تسوية القضية الفلسطينية، في اطار رؤياها الى تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي. وقد مرّ حديث هذه المبادرة طوال العقدين الماضيين في أوقات تصاعدت التطلعات العربية، والفلسطينية، الى دور اوروبي ايجابي في تحريك جهود التسوية لصالح القضية الفلسطينية، بما يتناسب والمسؤولية الاوروبية التاريخية في نكبة الشعب الفلسطيني، من جهة، وبما يتناسب وثقل الجماعة الاوروبية المتزايد على الساحة الدولية، من جهة ثانية، وبما يتلاءم ومرحلة العلاقات العربية الاوروبية الجديدة بعد افول الحقبة الاستعمارية، من جهة أخيرة. غير ان هذه التطلعات ظلت بلا جدوى، بحيث لا يمكن القول ان الجماعة قد باشرت، عملياً، وضع رؤاها المعلنة تجاه القضية موضع التنفيذ. بعبارة اخرى، يلاحظ وجود فرق واضح بين بلورة الجماعة لمبادىء فكرية معيّنة تجاه القضية وأبعادها المختلفة، وسبل تسويتها، وبين قدرة الجماعة على اتخاذ خطوات عملية ملموسة على طريق تفعيل هذه المبادىء. ومن هنا يثار السؤال الاساسي الذي تحاول هذه الدراسة الاجابة